بنية الزمن السردي في شعر صالح فاضل الخصيبي

المقدمة

يعد الزمن من العناصر المهمة التي يرتكز عليها العمل الأدبي لاسيما الشعر منه والى ذلك يشير احد النقاد بقوله انه يمكن أن نروي قصة دون الإشارة إلى مكان أحداثها ولكن من المستحيل أن نروي قصة دون زمن ، فمجرد الكلام يجب أن يكون إما بصيغة الماضي أو الحاضر أو المستقبل .

وعليه جاء اختياري للزمن في شعر صالح فاضل الخصيبي موضوعا " لدراستي أحساسا" مني بأهمية هذا الموضع من ناحية أني وجدت أنها الدراسة الأولى التي ت تناول هذا الشاعر ولميلي لدراسة الشعراء العراقيين لاسيما البصريون منهم ، وذلك اعتقادا" مني أن التجارب الشعرية منبثقة من بيئتنا هذا الأمر جعل تأثري بقصائدهم أكثر من تأثري بقصائد غيرهم من الشعراء .

جاءت دراستي للزمن مستندة إلى المستويات الثلاثة التي قدمها الناقد الفرنسي جيرار جنيت التي تركزت على ثلاثة أوجه (الترتيب ، والمدة ، والتواتر) .

وقد تناولت في الترتيب تقنيتي الاسترجاع والاستباق وقد وجد البحث شيوع النوع الأول أكثر من النوع الثاني .

أما المدة فقد تناولها البحث من خلال تقنيتي تسريع السرد وابطائه ، وقد درسنا في تسريع السرد الخلاصة والحذف ، فوجد البحث شيوع الخلاصة أكثر من تقنية الحذف ، ووقفنا في إبطاء السرد عند تقنيتي الوقفة والمشهد فوجد البحث شيوع المشهد وكأننا أمام عدسة كاميرا تتنقل بنا من خلال اللوحات التي رسمها الشاعر في شعره .

ودرسنا في التواتر ثلاث حالات (التواتر المفرد ، والتواتر التكراري ، والتواتو التعددي) وقد بينا كل نوع ووجدنا شيوع النوع الأول أكثر من غيره من الأنواع .

الباحث

يعد الزمن من العناصر المهمة في بناء النص السردي ومن ابرز تقنياته فهو الإطار الذي يؤطر الشخصيات ، فضلا" عن كونه الهيكل الذي تبنى عليه عناصر المروي ، لان كل شيء في هذا المروي سيتحقق من خلال الزمن لذلك أصبح (الشخصية الرئيسة في الرواية المعاصرة منذ بروست وكافكا)(١).

ويمكن القول إن الزمن (ذلك المجال المبهم وغير المحدد الذي يشبه الفضاء الذي تقع فيه الحوادث فيكون موجوداً ، بذاته ...وموجوداً في العقل)(٢).

وقد يتخذ الأديب مسارا" يختلف فيه عن غيره من الأدباء من حيث تناوله للزمن فهناك من يجعل من أحداث روايته ارتدادات زمنية وذلك بالرجوع إلى الوراء أو نقطة مختلفة من الماضي على شكل (استرجاعات) ويجعل بعضهم الحاضر والمستقبل موضعا" للأحداث التي يريد معالجتها في نصوصه وغيرها من الأجناس السردية الأخرى.

واللعب بالأزمنة داخل العمل الأدبي عمل جمالي بحق لا يؤثر على الأحداث من حيث الماهية والوجود ، وإنما من حيث الصياغة والترتيب .(٣)

والزمن حسب تقسيم جينيت في كتابه(خطاب الحكاية) ذو ثلاثة أوجه(الترتيب ، المدة ، التواتر)(٤) وهذه ستكون المحطات التي سنعتمدها في دراستنا .

أ- الترتيب :-

وهو الذي ينهض (على المقارنة بين ترتيب الأحداث في النص القصصي وترتيب تتابع الأحداث في الحكاية)(٥).

فترتيب تتابع الأحداث في القصة يختلف عما هو في الحكاية ، ففي الحكاية يكون التتابع في سرد الأحداث دون قطع أو توقف ، بينما يرتقل الراوي في القصة ما بين الحاضر والماضي فمثلا" يقوم بسرد الأحداث كما وقعت ثم يقفز خطوة إلى الوراء راجعا " إلى الماضي أو بالعكس قافزا" بنظرة مستقبلية ليطلع القارئ على أحداث يتوقع الراوي حدوثها مستقبلا" ، ويمكن تعليل ذلك الى أن التلاعب بالأزمنة يأتي لدفع الملل الذي عن القارئ أو المتلقي ما لو كان الزمن بالماضي أو الحاضر ، فهو أسلوب هدفه كسر الرتابة وأبعاد القارئ عن الملل .

ومن هنا ينشأ ما يسمى بـــــــــ (تقنية المفارقة السردية) وهي (تقنية الاستباق) و(تقنية الاسترجاع) .

وأول نوع من هذه التقنيات التي وجدناها في شعر الخصيبي هي تقنية الاسترجاع وتسمى اللواحق ،

واللاحقة :- هي عملية سردية تتمثل في إيراد حدث سابق للرقطة الزمنية التي بلغها السرد وتسمى

(استذكار)(٦). فنجد الشاعر في قصيدته (عودة الذكرى) يوظف تقنية الاسترجاع لبناء أحداثها إذ يقول:-

عدت بالذكرى فعادت لي أيامي الجميلة
يـــوم كنـا نـتلاقى خـلسةً تـحـت الخميلة
نـشتكي نار هــوانا للنسيمات الـــبليله
بيـــن أنات السواقي والنواعير الكليلة
وأغاني رعاة قدست حب القـــبيلة
نحسب الأزهار قلبا" عاشقا" يشكو غليلة
ونـــحسُ النهر يسقي بأغانينا نـــخيلة
ونظن النسمة السكرى من الحب عليلة

ونعد الروض عشا" وأنا كنت نزيـــلة
كل ما في الروض يهفو لحبيب يشتكي له
غير إني عدت وحدي في مغانيك الظليلة
أين من تلك المغاني ضحكة العين الكحيلة ...(٧)

نلحظ القصيدة تحمل ذكريات جميلة وأليمة في الوقت نفسه ومن الملاحظ أن عنوان القصيدة عودة الذكرى التي يفتتحها الشاعربعبارة العنوان نفسها فالأولى كأن تلك الذكريات هي التي حنت وتذكرت وعادت له ، بينما في الثانية نجد إن الشاعر قد عاد عنوة فهو الذي تذكر وفاض حنينه وحاول الرجوع بذاكرته إلى تلك الأيام الجميلة .

فضلا" عن ذلك فقد كرر الشاعر لفظة (عدت) مرتين وهذا في ظننا يرجع إلى أن الراوي أراد ترسيخ هذا الحدث وتوكيد هذا الفعل في ذهن المتلقي ، محاولا" التأثير عليه من خلال هذا الحدث عن طريق تكرار هذا اللفظ ليكون له وقع اكبر للمتلقي .

ومن الملاحظ أيضا" أن الألفاظ التي استعملها الشاعر وهي (خلسة، نار، هوانا، سكرى، عدت وحدي) كلها ألفاظ توحي بجمال الملتقى والمنتهى واسترجاع رائع بخيال واسع يحرك إحساسك ومشاعرك بأسلوب لطيف يسترجع الراوي لقاءه مع حبيبته .

منذ أول كلمة (عدت بالذكرى) يصرح الراوي بالرجوع بعقارب الساعة إلى ذلك الزمان الذي يحاول مناداته واسترجاعه ولو بالخيال والتصوير الإيحائي هذا الزمان الذي عفت عليه الأيام والسنون ، وكل الاسترجاعات التي قرأناها في هذه المقطوعة تكمل بعضها بعضا" بحيث يحاول الراوي أن يصور للمروي له عبر تقنية الاسترجاع ما حل به من الم وحزن وأسف على هذا الحب الذي كان بينهما محاولا " بذلك تقريب الصورة للقارئ بحيث يجعله يتعايش مع تلك الأحداث ويتفاعل معها ويتأثر بها ، وهناك مقاطع أخرى وردت فيها مثل هذه التقنية في كثير من القصائد منها قصيدة الأيام وقصيدة من دفتر الذكريات ، ونعتقد أن كثرة الاسترجاع تدل على تمسك الشاعر بجذوره وحنينه إلى أيامه كلها التي مضت ، وكأنه رثاء لنفسه ولمدينته ومنطقته وأسفه على تلك الأيام الجميلة ففي قصيدة الأيام يقول :

وتلك أيام إذا ذكرتها تفتحت على عروشها الزهر
وصفق الفؤاد في ضلوعه كما تصفق الحقول للمطر

كانت – كما– أحببتها– ترنيمة حالمة على مشارف السحر
ولكان لي في الحب أحلى قصة عذرية تنغم في كل وتر
وكنت احسب الحياة طفلة تحمل ما احمله من الفكر
كانت هي الحياة في ربيعها وكانت الحياة فيها تختصر (٨)

عند تأملنا للقصيدة نجد أن تقنية الاسترجاع شاخصة من العنوان (الأيام) اذ تفتتح القصيدة بالتذكر والعودة إلى الماضي بقوله :– (وتلك أيام إذا ذكرتها) تعلق الراوي بالماضي جعله لا يستطيع أن يتكيف مع التغيير المحيط به وبكل الأشكال التي يراها شاخصة أمامه في الواقع من الم وتناقض ، كل ذلك الماضي الذي يع دَه زمن اً أسطورياً لا يتكرر .

والنوع الثاني من تقنية المفارقة السردية (تقنية الاستباق) وهي عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقا " (٩) ، وقد يكون الاستباق عن طريق أحلام اليقظة ، أو رؤية في المنام ، أو حدس ، أو حتى افتراض ، وهي بمعنى أخر إشارة إلى أحداث ستقع في المستقبل ، ويفصل بين سردها ووقوعها زمن غير معلوم ، وقد يحدد في بعض الأحيان ،

ونجد مثل هذا النوع من التقنية في قصيدة (أحلام النجوم) يقول فيها : –

لو أنني يوماً شكوت إليه لسكبت لحن الوجد في أذنيه
وسقيته مما سقاني لوعة ممزوجة بالخمر في عينيه
وشرحت أشواقي له في ساعة مشبوبة بالجمر في خديه

****

لو أنني يوما" شكوت إليه لأشعت دفء الحب في برديه
ولصغت أخباري إليه فرائدا" ينثرن أحلام النجوم عليه
وفديت في أعطافه البان الذي بان الربى يجثو على قدميه

****

لو أنني يوما" شكوت إليه لبكى الغمام المزنُ في جفنيه
يا سافكا" في ناظريه دمي الذي قد صار ينكره على شفتيه

ما حيلتي وبليتي في قاتلي بلحاظهِ، والقلب طوع يديه (١٠)

نلاحظ أن الراوي نظم قصيدته استنادا" إلى أحداث لم تقع بعد وإنما يتوقع حدوثها في المستقبل ففعل الشكوى لم يتم ولكنه استبق تلك الأحداث ولم يكتف الراوي بهذا بل ذهب إلى ابعد من ذلك فهو يتوقع ما سيفعله في المستقبل أي بعد الشكوى فيقول :- (لسكبت، لأشعت، ولصغت، لبكى) فهذه الأفعال لم تقع وإنما يتوقع الراوي حدوثها.

فضلا عن ذلك فقد وجدنا ان الشاعر قد عمد الى استعمال وتوظيف مفردات من الشعر الجاهلي (البان ، المزنُ) اعتقد انها جاءت منسجمة مع الشكوى والوجد واللوعة وتكرار هذه الشكوى (لو انني شكوت اليه) فكانها تعود بنا الى مضامين جاهلية احتاج او عمد الى توظيف بعض مفرداتها .

ب-مستويات المدة :- يتمثل تحليل ديمومة النص القصصي في ضبط العلاقة التي تربط بين زمن الحكاية الذي يقاس بالثوان والدقائق والساعات والأيام والشهور والسنوات وطول النص القصصي الذي يقاس بالأسطر والصفحات والفقرات والجمل .(١١) ،هذه العلاقة قد تسمى بـــ (تقنيات الحركة السردية) التي بدورها تقسم على أربعة أقسام ، اثنان منها تختصص في إسراع السرد ، واثنان في إبطائه . (١٢)

أولا":- تقنية تسريع السرد.

أ-الخلاصة (المجمل):- وهو سرد أيام عديدة أو شهور أو سنوات من الحياة الشخصية دون تفصيل للأفعال أو الأقوال ، وذلك في بضعة أسطر أو فقرات (١٣) . وهذا ما وجدناه في قصيدة (دمعة على قبرها) حيث أن الراوي استعمل كلمة (قبرها) التي تكفي بان نعلم أن الحياة الشخصية الرئيسة في القصة قد انتهت فقد (استخدم تقنية التسريع ليتخطى الفترات الزمنية غير المؤثرة في حياة البطلة أو التي تقع فيها أحداث مهمة للقصة وصولا" إلى الفقرات الأشد تأثرا" في الشخصية أو في القصة)(١٤) .

والحدث الأشد تأثيرا" في القصة وهو وفاة الشخصية الرئيسة ومن ثم يبدأ بعرض تعريفي مفصل لمراحل حياتها ، فالقصيدة من عنوانها تدل على أنها ماتت ، ومن

ثم لابد من أنها عاشت سنين فهو بـــ (قبرها) يمر مرورا" سريعا" على مدة زمنية طويلة مجملة، وبعدها يبدأ بسرد وصفي للشخصية مصاحبة بسكتات خفيفة بين الكلمات وشهيق عميق بين المقاطع المكونة للقصة وهذه الوقفة مع تفاصيل حياتها (التوقف الحاصل من جراء المرور من سرد الأحداث إلى الوصف)(١٥).

فبعد سرد الأحداث المهمة التي اختصرها الراوي كما بينا ينتقل بإطناب ووصف خاص لمعالم تلك الشخصية البارزة في حياته التي هي اكبر من أن يفرد لها ديوانا " لوصف محاسنها ، وجمالها ، وحلاوة أنفاسها ، الراوي يوقف السرد محاولا" أن يعرف المروي له بمكانة الآخر سعاد الحبيبة والزوجة وما لها من دور ومرفأ على سواحل قلب الراوي يقول :-

رقدت ولكان يجفونكِ الرقاد ونمت فطال نومكِ يا سعادُ
وكنت إذا جفون الناس نامت ينام بملء جفنيكِ السهادُ
وهذي الشمس أختك قد أفاقت بصبح نوره ماءٌ وزاد
تسائلُ عنكِ في هلعٍ وشوقٍ وفيها مثلما فينا اتقادُ (١٦)

نلاحظ الشاعر قد عمد الى تكثيف الاحداث وتوقيف الزمن د ون الخوض في تفصيلات الشخصية ومراحل حياتها ، يصور الشاعر سعاداً بأنها قد نامت ويريد به الموت واختيار لفظة (الشمس) من الراوي لكونها تشبه الشمس بجمالها وسطوعها ، فضلا عن محاولته تصوير الحرارة والاتقاد التي تتصف الشمس بها بنفس حرارة الفراق الذي خلفه فراق زوجته ، وهذا الهلع والشوق الذي اعترى الشمس بفقد سعاد فالطبيعة تأثرت بفراقها مثلنا ، ويستمر الراوي في شوق ولهفة ، ويتساءل إذا كانت قد ماتت حقا" أم أنها ممكن أن ترجع حتى يبدأ يبتعد في خياله إلى أن الملائكة تحبها ، وان القبور تنوح وتبكي عليها والأماكن متمثلة بنجد والبوادي تبكي كذلك ، فكثيرا" ما نجده يوقف السرد ليتأمل بالشخصية وبحبه لها ومدى تأثره بفقدها .

إذ نجده في الأبيات الأخيرة اختزل ما تبقى من كلامه الكثير بكلمات قليلة وسريعة عالية حيث يقوم بتكثيف الكلمات ذات المعنى والسرعة في سرد الأحداث فيقول انه لا ينساها وأنها تملك فؤاده ، والقصيدة اتسمت بالسرعة والتكثيف والحركة الزمنية الواسعة بالرغم من أنها تشير إلى توقف نهائي للزمن .(١٧)

ب – تقنية الحذف : – هي تقنية زمانية تعمل على تسريع السرد، (والحذف ، أقصى سرعة ممكنة يركبها السرد ، وتتمثل في تخطيه لحظات حكائية بأكملها ، دون الإشارة لما حدث فيها) ، (١٨) وكان يقول(ومرت خمس سنوات أم لا)(١٩) أي أن الراوي قد يوفر (ما يساعد القارئ على إدراك المدة المحذوفة وقد لا يوفر ويعتمد هذا على فطنة القارئ ومن هذه العلاقات نقاط الحذف المعروفة والبياضات بين الفصول والفقرات وقد يعلن عن هذا الحذف مباشرة)(٢٠)

فعند الخصيبي نجد (الحذف) في قصيدة (السراب) اذ يقول :–

لا تقل ليل السرى ما اطولك واطرح الهم الذي قد أثقلك
وانفض البيد بكفي سابح لو دعا داعي السرُى لن يخذلك
ليس في المال نجاة للفتى من مقادير الردى مهما ملك
تشتكي الدهر وتجري خلفه سالكا" أغواره أنى سلك
أيها الساري على غير هدى في متاهات الهجى ما أجهلك
تستحث الخطو مشدودا" إلى غاية مجهولة– ما اعجلك
تسال الدنيا وهل فيها سوى حائر يشغله ما شغلك
لو رأت عيناك ما في غيبها لبدا من أمرها ما أذهلك
حملتك الأرض في أحشائها من قرون فاذكرن من حملك (٢١)

فالراوي يحذف كل زمان في الدنيا ، ونفهم من تلخيص هذه القصيدة أن الدنيا زائلة منتهية لا تحزنك مصائبها ولا تفرحك تغاريدها ومسراتها ولا تفكر في غدها فيعلمنا بأننا نبحث عن غاية مجهولة وطريق مسدود.

فضلا" عن ذلك فإننا نلاحظ في قوله (واطرح الهم الذي قد أثقلك) فهو لم يستعرض تفاصيل الهم والأمور التي سببت ذلك الهم الذي رمى أثقاله عليه لان الثقل قد وقع في الماضي وقد سبقه بحرف (قد) وهو حرف يفيد التحقيق أي أن الفعل قد حدث ولكنه لم يقف على نوعه وتفاصيله فعليه يُعد ثغرة في الزمن .

كذلك نلاحظ أن الراوي في اغلب قصائده ومنها هذه القصيدة انه يلجا إلى انسنة الطبيعة فنلاحظ في قوله (تشتكي الدهر ، تسأل الدنيا ، وحملت الأرض في أحشائها) فهو يضفي الصفات الإنسانية على الحياة ككل فهو يشبه الأرض وحملها إياه بالأم وحملها طفلها في أحشائها فهو ليس استعمالا" انفرد به الشاعر وإنما توظيفه بإعطاء هذه الحياة والدنيا والأرض صفات إنسانية نعتقد انه أراد بها أن يعرف المروي له بمكان أرضه فلم يجد اقرب من ألام ومنزلتها العالية والكبيرة فقام بتشبيهها بها محاولا " بيان مكانتها ، ويذكر الراوي أيضا" :-

لم تعد تذكر إلا ساعة يحمل الميلاد فيها أجلك

هنا أيضا" ترك كل الأحداث التي مرت عليه من ولادته حتى دنو أجله ولم يسلط الأحداث التي يعتقد أنها ليست ذات أهمية بالنسبة للمروي له ، عليه فهو يترك كل تلك التفاصيل مشيرا" اليها بإشارة أو كلمة أو جملة إشارة عابرة دون الوقوف عند الزمن الذي وقعت فيه تلك الحوادث المسكوت عنها في القصيدة . والملاحظ من القصيدة هي تقنية الحذف التي يستخدمها الراوي بهذا الشكل الموفق للاستعمال والتوظيف الغامض إذا جاز لنا التعبير للزمن ، إذ انك لا تشعر بوجود حذف مع العلم أن كل زمن القصيدة محذوف ولا يوجد سوى نهاية الدنيا الذي يجب أن نتمعن فيه ونتفكر به ، فيحذف كل زمن إلا زمن وقوع الحساب وقد وجد الباحث هذه التقنية في أكثر من قصيدة منها (الفارس العربي (٢٢) وقصيدة معلقات المجد (٢٣) ، وقصيدة هاتف الفجر (٢٤) .

ثانيا" :-/ تقنية إبطاء السرد :- ونجد في هذا الباب تقنيتين شاخصتين تمثلان السرد وهما تقنيتا (الوقفة والمشهد) وسنفصل القول فيهما .

أ **الوقفة :-** ويقصد بها (التوقف الحاصل من جراء المرور من سرد الأحداث إلى الوصف)(٢٥) وبمعنى أدق (سكتة خفيفة بين الكلمات أو المقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهى لفظ ما أو مقطع ما وبداية أخر)(٢٦)

وقد وجدنا هذه التقنية في قصيدة إلى منتهى النورين ، وقصيدة الميلاد ، ففي الميلاد يقول :

ولد الصباح فهبت الأحياء للحدث الجسيم
ولد الصباح كومضة الأحلام في وجه وسيم
متوهجا" كحقيقة تجري على شفتي حكيم
قد جاء يحمل في شآبيب السنا نبأ يتيم
ويحث ركب الخالدين كأنه ملك كريم
ويشد في حب على يد كل شيخ أو فطيم
ويلم عن وجه الدروب بقية الليل البهيم
ويمر مرفلت الخطى كالبرق يتبعه الهزيم
في صيحة الأجيال تجتاح الوجود من القديم
في صرخة الأبطال تزحف بالحديد وبالجحيم
تستل من أعماقها شلال نار في الهشيم ...(٢٧)

تبدأ القصيدة بمدخل نظري تمهيدي شطر من النثر وكأنه حكمة يفتتح بـها ثم يبدأ بسرده للأحداث التي اراد الوقوف عندها ثم يوقف السرد وكأنه أمام ولادة لقصيدة جديدة يفتتحها الراوي بلفظة ولد الصباح ، فالولادة هنا أمر لا طاقة لهم به فهو أمر لا يي لأحد في التدخل فيه أو أن يستطيع تغيره ، وتكرار اللفظ في الشطر الثاني إشارة ودلالة على توكيد الحدث وهو ولادة الصباح الذي فيه تغيير لجميع ميادين الحياة فهي حقيقة يشبهها بالكلام الذي يخرج من شفتي الحكيم ونلاحظ أن الراوي لجا إلى استعمال ما يعرف عنه من إضفاء الصفات الإنسانية على الطبيعة والكونيات التي من حوله وصولا" إلى الصباح الذي يصفه بأنه ولد وكأنه مولود جديد فهو يلجا إلى إيقاف عجلة الزمن عند هذه اللحظة متمعنا" بالتغيرات التي طرأت على الحياة محاولا " تعريف المروي له بمكانة هذه اللحظة ، وبعدها النفسي عند الراوي الأمر الذي جعله يقف عندها متجاهلا" الزمن كله ، وكأنه ولادة لا تتجدد فهو اوقف الزمن لغرض الوصف وهذه الولادة تجري على الشيخ والفطيم وتشد من أزرهم بيوم جديد ويبدأ الراوي بوصف التغيرات التي صاحبت هذا الصباح ، وكيف انه يطوي أثار الظلام

ونعاس الأرصفة ونشير إلى أن الراوي وفق في وصفه حتى انه نسي أن يكمل قصيدته فختمها بذلك الوصف فكأنه أراد أن يعلم المروي له انه ليس بشاعر فحسب وإنما هو رسام يبدع بالكلمات ويرسم اللوحات ، والقارئ للقصيدة يمكنه أن يرسم في مخيلته صورة تبقى مجسمة في عقله ،فالراوي يوقف الزمن عند هذا الحدث (ولادة الصباح) .

ب – المشهد :- وهو (بسط الراوي لأحداث القصيدة وأبعادها سواء عن طريق الحوار أم عن طريق السرد العادي)(٢٨)

وبمعنى أخر هو (فعل محدد مفرد يحدث في زمان ومكان محددين أو يستغرق من الوقت بالقدر الذي لا يكون فيه أي تغيير في المكان أو أي قطع في استمرارية الزمان)(٢٩) وسميت هذه الحركة بالمشهد (لأنها تخص الحوار حيث يغيب الراوي ويتقدم الكلام كحوار بين صورتين وفي مثل هذه الحالة تعادل مرة الزمن على مستوى الوقائع الطول الذي يستغرق على مستوى القول)(٣٠) ونعتقد أن المشهد يضفي تعبيرا" على العمل الأدبي لا سيما القصصي منه وذلك لأنه (يعطي ... للقارئ أحساسا" بالمشاركة الجادة إذ انه يسمع عنه معاصرا " وقوعه كما يقع بالضبط وفي لحظة وقوعه لا يفصل بين الفعل وسماعه سوى البرهة التي يستغرقها صوت الراوي في قوله)(٣١)

ونجد هذه التقنية في كثير من قصائد شاعرنا ، ومنها: الحدث العجيب ، وقصيدة مصيف سر سنك ، وموقفه من شقلاوة ، وقصيدة مصايف صلاح الدين ، فأسماء هذه القصائد تدل على ما تحمل في طياتها مشاهد اخاذة وقف عندها الرا وي متمتعا " منبهرا" بسحرها وقد اخترنا قصيدة واحدة هي (الحدث العجيب) يقول فيها :-

النور يخفق فوق هامات الربى خفقا" مريب
قد بعثرته يد النهار وأفزعته يد المغيب
والشمس حالمة تسرح شعرها فوق الكثيب
وترش في سعف النخيل وفي الدروب ندى وطيب
وترنح الأفق البعيد بأغنيات أبي الخصيب
حسناء تغلق بابها السحري في صمت مهيب

إلا بقايا من صدى ينساب في السهل الرحيب
وغناء راعية تعود لكوخها عود الغريب
وثغاء شاة ناعم النبرات يقطر بالحليب
وحفيف أغصان تهش بزهرها للعندليب (٣٢)

نلاحظ أن الراوي قد صور لنا عدة مشاهد ولكنها تجتمع في لوحة واحدة وهي لوحة الغروب في جنوب العراق وبالتحديد في (مدينته الفاضلة) البصرة ، وقد أبدع في وصفه ورسم مشاهده التي تحملنا معها في تلك الأجواء الحالمة التي نعتقد أنها تثير الملتقي وتدفعه إلى التأمل في أبداع الخالق ، فنحن أمام صورة متحركة أبدعت ريشة الفنان في رسمها .

فضلا" عن ذلك فقد لجأ الراوي إلى إضفاء صفات إنسانية على ذلك المكان والمشهد ككل أي ما يسمى بـــ (انسنة الطبيعة) وهذا ما نلاحظه من خلال استعماله لألفاظ خاصة بالإنسان وهي (يخفق، هامات، خفقا" ، أفزعته ،تسرح شعرها، وترش، وترنح) كل هذه الألفاظ نعتقد أن الراوي استعملها ليجعل من تأثر المتلقي أكثر واكبر مما لو كان قد اعطاها صفاتها الحقيقية .

ونشير إلى أن الألفاظ أيضا" تحمل صفات انسانية وذلك إحساسا " منه بان الوصف الخاص بالمراة يكون أكثر تقبلا" ويوسع دائرة التأثر ويكون وقعه اكبر على المتلقي ، فالنفس الإنسانية تميل إلى التغزل بالأنثى لما تحمله من صفات جمال وإبداع .

ونلاحظ أن الراوي قد أوقف الزمن ورسم لنا هذا المشهد وكأنه انقطع عما قبله وبعده فلم يدخل في لوحته إلا هذه اللحظة التي بدأ عندها وانتهى فيها فنحن أمام مصور بيده آلة تصوير ويلتقط صورا" لكل ما وقع ناظره عليه ، مجموع هذه الصور تشكل مشهدا " متحركا" نعتقد أن الراوي قد أبدع في تصويره ، وأجاد ، وحقق مبتغاه في التأثير في المتلقي وقد وفق في تصوير ما أراد .

مستوى التواتر :- ونجد هذا النوع من مستويات الزمان السردي متمثلا " (في العلاقة بين العملية السردية للحدث والتشكيل الزمني ، فإذا كان التتابع الزمني يعنى

بحركية المسار الزمني ... فان التواتر يعنى بطبيعة هذا المسار)(٣٣) وهو يقوم على تكرار بعض أحداث المتن الحكائي على مستوى السرد (٣٤) ويعد جنيت هذا النوع من التواتر (مظهرا" من المظاهر الأساسية للزمنية السردية ... لكونه بناءً ذهنياً ، يقصي من كل حدوث كل ما ينتمي إليه خصيصا" لئلا يحافظ منه إلا على ما يشترك فيه مع الحدوثات الأخرى التي من الفئة نفسها) (٣٥)

وينشأ عن هذا ثلاث حالات :-

١ - التواتر المفرد / حيث يروي مرة واحدة ما وقع مرة واحدة .

٢ -التواتر التكراري / حيث يروي أكثر من مرة ما حدث مرة واحدة .

٣ -التواتر التعددي / حيث يروي مرة واحدة ما حدث عدة مرات (٣٦)

التواتر المفرد :- ويعد هذا النوع من أكثر الأنواع شيوعا " واستعمالا " في النصوص الأدبية وفيه يلجأ الراوي إلى رواية ما حدث مرة واحدة لأنه حدث مرة واحدة دون الحاجة إلى تكرار ذلك الحدث وروايته ويسميها جنيت بـــ (الحكاية التفردية)(٣٧) ونقف عند قصيدة (شط العرب) أنموذجا" على هذا النوع يقول فيها :-

ختمت بحسنه حسن المطاف اقلب ناظري بين الضفاف

وقلبي طائر نشوان فيه يرفرف بالقوادم والخوافي

تحييني فتحييني بلطفٍ مراكبُ من نُسيماتٍ لطاف

وقفت على الضفاف الخضر أصغي إلى شدو من الملاح صافي

وانظر للطبيعة وهي تزهو بثوب من بديع الحسن ضافي

فاغسل بالمياه هموم قلبٍ تنوء بحمل أعوام عجاف (٣٨)

نلاحظ ان الاحداث جميعها حدثت لمرة واحدة فالوقوف على الضفاف ، والنظر ، كلها حدثت ومضت دون الحاجة الى تكرار رواية حدوثها بوصفها حدثت مرة واحدة ، على العكس مما سنلمسه من الامثلة في الانواع الاخرى من التواتر التي يتكرر الحدث بها عدة مرات .

التواتر التكراري :- ويروي الحدث في هذه الحالة (مرات عديدة بتغير الأسلوب وغالبا" باستعمال وجهات نظر مختلفة ، أو حتى باستبدال الراوي الأول للحدث بغيره من شخصيات الحكاية)(٣٩) ويطلق جنيت على هذا النوع (الحكاية التكرارية)(٤٠) وقد وجدنا هذه الحالة في أكثر من موضوع في الديوان اخترنا قصيدة (رجعت إليك) يقول فيها :-

رجعت إليكِ أجرُّ السنين ورائي طوالا" على العاشقين
رجعت إليك رجوع الغريب يقلب في الدرب طرفا" حزين
رجعت اجر الليالي التي حملن إليك الهوى والحنين
رجعت لأرهف سمعي إلى حفيف ثيابك في كل حين
فاني رجعت اجر السنين ورائي طوالا" على العاشقين (٤١)

نلاحظ في هذه القصيدة لجوء الراوي إلى تكرار فعل الرجوع للتعبير عن شعوره بهذه العودة وإيصال مشاعره إلى حبيبته ،ومن ثم تكرر الزمن الذي وقع فيه بينما الرجوع جرى مرة واحدة ولكن عمد الراوي على ذلك الحدث محاولة منه التأثير في المتلقي وترسيخ ذلك الحدث بتكرار زمن وقوعه وروايته بأكثر من وجهة نظر.

التواتر العددي :- ويعني (حالة التكثيف السردي للزمن الطويل الممتد الذي تشعر به الذات لكن السارد يختزله في العملية السرديةِ أو تعبيرات موجزة ، ويقترن بالأحداث النمطية وهي الأحداث المألوفة التي مرت بها الذات كل يوم وكل أسبوع)(٤٢) . وقد وجدت هذه الحالة في قصائد عديدة منها قصيدة (أيب) يقول فيها:-

إليك شددت الرحل كثرٌ متاعبي وعدت بأعبائي تنوء ركائبي
وحملت من شرق البلاد وغربها تباريح أخبار ودنيا غرائب
وذقت من الأيام ما لو تذوقه لعاد الضحى منها صريع الغياهب
وجربت أخلاق الزمان وأهله فعدت ولي فيها عظيم التجارب (٤٣)

نلاحظ في هذه القصيدة ان الراوي يلجأ إلى تكثيف الزمن في قوله (وذقت من الأيام) و (جبت أخلاق الزمان) فتكثيف الزمان في هذه المقاطع جعل الراوي فـي غنى عن تكرار هذا الحدث فلم يسترسل فيما ذاق وما جرب .

الهوامش

١. الملحمة في الرواية العربية المعاصرة ،ص٢١٢ ، د. سعد عبد الحسين العتابي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ٢٠٠١.

٢. الزمن والتاريخ ، محمد الخماسي ، مجلة الحياة الثقافية ، تونس ع ٥٧ ،١٩٩٠ .

٣. الالسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة ص ٨٥ ، دموريس أبو ناضر ، دار النهار للنشر بيروت ١٩٩٧ .

٤. المداخل للقصة ، روبرت شولز ، ترجمة سعيد الغانمي ، مجلة الأقلام ع٥٢ ،١٩٨٩ .

ينظر خطاب الحكاية بحث في المنهج ، جرار جنيت ، ترجمة محمد معتصم ، عبد الجليل الازوي ، عمر حلي ١٩٩٧ .

٥. مدخل إلى نظرية القصة ص٧٥ سمير المرزوقي وجميل شاكر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد الدار التونسية للنشر ١٩٨٦ .

٦. مدخل إلى نظرية القصة ص٧٦ .

٧. انهار ه ادئة صالح فاضل الخصيبي ، مطبعة العلي البصرة ١٩٩٩ ،ص١١٧

٨. انهار هادئة ص١١٢– ١١٣

٩. مدخل إلى نظرية القصة ص ٧٦

١٠. انهار هادئة ص١١٠ – ١١١

١١. مدخل إلى نظرية القصة ص٨٥

١٢. ينظر البنية الزمنية في رواية ذاكرة الجسد مفقودة ، الأقلام ع ١ ،١٩٩٨ ص

١٣. مدخل إلى نظرية القصة ص٨٥

١٤. مورفولوجة الزمن ألف ليلة وليلة داود سلمان الشويلي ، مجلة الموقف الثقافي ع٢٩ لسنة٥ ،٢٠٠٠

١٥. مدخل إلى نظرية القصة ص٨٦

١٦. انهار هادئة ص١٢٣

١٧. ينظر نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير ، جيرار جنيت وآخرون ، ترجمة ناجي مصطفى منشورات دار الحوار الأكاديمي الجامعي –المغرب ١٩٨٩ .

١٨. مستويات دراسة النص الروائي : د.عبدالعالي بو طيب ،دمشق الرباط،ط١، ١٩٩٩ ، ص١٦٤ .

١٩. مدخل إلى نظرية القصة ص٨٩

٢٠. الخطاب القصصي العربي الجديد ص٧٠ دراسة في أدب ما بعد الحداثة رزوقي عباس مبارك رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة كلية الآداب جامعة البصرة ٢٠٠١

٢١. انهار هادئة ص١٥٩

٢٢. انهار هادئة ص٤٧

٢٣. انهار هادئة ص٣٨

٢٤. انهار هادئة ص٥٨

٢٥. مورفولوجيا الزمن في ألف ليلة وليلة ص٩٤

٢٦. أقنعة النص ص٧٣ سعيد الغانمي دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩١

٢٧. انهار هادئة ص١٦٥

٢٨. الالسنة والنقد الأدبي ص١١٥

٢٩. بناء المشهد الروائي ليون سرميليان ترجمة فاضل ثام ر مجلة الثقافة الأجنبية بغداد ع١٩٨٧،ص

٣٠. تقنيات السرد الروائي ص٨٤ د. يمني العيد دار الفارابي –بيروت ١٩٩٠، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) د. حميد الحمداني للمركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت الدار البيضاء ط٢ ١٩٩٣

٣١. مورفولوجيا الزمن في ألف ليلة وليلة ص٩٦

٣٢. انهار هادئة ص٤١

٣٣. بناء الزمن في الرواية المعاصرة رواية تيار الوعي أنموذجا ١٩٦٧-١٩٩٤ مراد عبد الرحمن مبروك مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٢٣

٣٤. مستويات دراسة النص الروائي عبد العالي بو طيب مطبعة الأمنية دمشق الرباط ص ١٧٤ ،١٩٩٩

٣٥. خطاب الحكاية ص ١٢٩

٣٦. ينظر مدخل إلى نظرية القصة ٨٢ ، ينظر الزمن السردي في أنشودة المطر نجوى محمد سالم عبد النبي مجلة دراسات البصرة ع ١ لسنة ٢٠٠٦ ص١٣٤

٣٧. خطاب الحكاية ١٣٠

٣٨. انهار هادئة ص ٢٠

٣٩. مدخل إلى نظرية القصة ص٨٣

٤٠. خطاب الحكاية ١٣١

٤١. انهار هادئة ص٧٩-٨٠

٤٢. بناء الزمن في الرواية المعاصرة ص ١٤٦

٤٣. انهار هادئة ص ٧٨ .

المصادر

١. أقنعة النص ص٧٣ سعيد الغانمي دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩١

٢. الالسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة ص ٨٥ ، دموريس أبو ناضر ، دار النهار للنشر بيروت ١٩٩٧ .

٣. الخطاب القصصي العربي الجديد ص ٧٠ دراسة في أدب ما بعد الحداثة رزوقي عباس مبارك رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة كلية الآداب جامعة البصرة ٢٠٠١

٤.الملحمة في الرواية العربية المعاصرة : د. سعد عبد الحسين العتابي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ٢٠٠١.

٥. بناء الزمن في الرواية المع اصرة رواية تيار الوعي أنموذجا ١٩٦٧-١٩٩٤ مراد عبد الرحمن مبروك مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب

٦.بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) د. حميد الحمداني للمركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت الدار البيضاء ط ٢ ١٩٩٣ .

٧. تقنيات السرد الروائي : د. يمني العيد دار الفارابي –بيروت ١٩٩٠

٨. خطاب الحكاية بحث في المنهج ، ج يرار جنيت ، ترجمة محمد معتصم ، عبد الجليل الازوي ، عمر حلي ١٩٩٧ .

٩. مدخل إلى نظرية القصة : سمير المرزوقي وجميل شاكر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد الدار التونسية للنشر ١٩٨٦ .

١٠. مستويات دراسة النص الروائي : د.عبدالعالي بو طيب ،دمشق الرباط،ط١، ١٩٩٩ ، ص١٦٤ .

١١. نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير ، جيرار جنيت وآخرون ، ترجمة ناجي مصطفى منشورات دار الحوار الأكاديمي الجامعي – المغرب ١٩٨٩ .

البحوث والمجلات

١. البنية الزمنية في رواية ذاكرة الجسد مفقودة ، الأقلام ع ١ ،١٩٩٨ .

٢. الزمن السردي في أنشودة المطر نجوى محمد سالم عبد النبي مجلة دراسات البصرة ع١ لسنة ٢٠٠٦ .

٣. الزمن والتاريخ ، محمد الخماسي ، مجلة الحياة الثقافية ، تونس ع٥٧ ،١٩٩٠ .

٤. بناء المشهد الروائي ليون سرميليان ترجمة فاضل ثامر مجلة ا لثقافة الأجنبية بغداد ع١٩٨٧ .

٥. مورفولوجة الزمن ألف ليلة وليلة داود سلمان الشويلي ، مجلة الموقف الثقافي ع٢٩ لسنة٥ ،٢٠٠٠ .